



قيم "التوحيد" فوق اعتبارات "القوامة"

آمنة ودود

تقدم آمنة ودود في هذا الفصل مساراها الشخصي والفكري المتمثل في الاشتباك مع مفاهيم سلطة الرجال وغياب المساواة بين الجنسين كما تنعكس في القراءات السائدة للآية 34 من سورة "النساء"، والأعراف والمعايير التي بنيت على تلك التفسيرات.

تبدأ كاتبة الفصل بتحليل سياق حياة الأمريكيين المسلمين من أصل أفريقي في الولايات المتحدة، وتأثير هذا السياق على مفهومهم للعقيدة والروحانية والمعايير الأخلاقية والفاعلية السياسية والاجتماعية. استطاع الأمريكيون من أصل أفريقي مواجهة تراث الرق والعنصرية المؤسسية والهجمات على الرجولة والعنف الجنسي في أمريكا عن طريق بناء إطار أبوي سلطوي داخل الأسرة. وقد تمسك هؤلاء بفكرة القوامة بالرغم من أن الرجال الأمريكيين من أصل أفريقي لا يمثلون العائل الوحيد للأسرة والحامي لها في تلك البيئة العنصرية، بل لا يمكنهم القيام بمثل هذا الدور، بينما تسهم النساء بشكل منظم في إعالة الأسرة. وقد دعا هذا الإدراك ودود إلى التنقيب عن قيم أخلاقية في القرآن تكون بمثابة رؤية روحانية تدعم صياغة أفكار جديدة لأسرة مثالية تتخطى نموذج القوامة.

ثم تصف ودود انخراطها مع مسلمات أخريات في أماكن مختلفة من العالم وسعيهن إلى تخطي الثنائيات القائمة في مجالي النسوية والدين. وتحدث الكاتبة عن تجربتها في مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين في عام 1995، حيث شهدت انقسام المسلمات الواضح إلى قسمين مستقطبين، أحدهما يؤمن بأن الأبوية متجذرة في الإسلام، ولهذا يجب ألا يؤخذ الإسلام في الاعتبار في أية نقاشات حول حقوق النساء الإنسانية، في حين يروج القسم الثاني لفهم الإسلام بصورة غير نقدية ترسخ مفاهيم السلطة الأبوية، ويتخذ ذلك الفهم أساساً لصياغة أدوار النساء في المجتمعات الإسلامية. وهكذا فقد كان على المشاركات اختيار أحد الاتجاهين، إما إسلام بدون حقوق متساوية وكاملة، أو حقوق الإنسان والنسوية دون الإسلام. كانت ودود ضمن العديد من النساء الباحثات عن مسلك ثالث، وهو ما تطور كثيراً منذ ذلك التاريخ ومكّن النساء من المضي قدماً مبتعدات عن الفقه الأبوي، ومحتفظات في الوقت ذاته بهوياتهن وقناعاتهن الدينية.

وتتحدث ودود عن سعيها إلى صياغة مفهوم جديد متأسس على مبدأ إسلامي رئيسي هو التوحيد. يؤكد مبدأ التوحيد على وحدانية الله، وأن كل صفاته ومعانيه مرتبطة سويًا في صفاء وتناغم، وأن الله ليس له مثل، ولهذا فهو لا يحمل صفة مبنية على الجندر. ومن أهم تبعات مبدأ التوحيد أنه يوحد البشر والأشياء التي تبدو مختلفة، ويحول دون تأسيس تراتبية أو بنى سلطوية، كما يتيح إقامة علاقات تتصف بالتبادلية والمساواة والتناغم. ولأنه ما من إسلام دون توحيد، فإن ودود تقدم فكرة المنظومة التوحيدية التي تمثل وسيلة لتخطي الظلم الناجم عن فكرة القوامة وتفضي إلى مجتمع مبني على المبادئ الأخلاقية

الجمعية في الإسلام. فلو تأسست العلاقات الاجتماعية على مبدأ التوحيد لأفضت بالضرورة إلى علاقات مساواتية، إذ إن التراتبية والتسلط ينفيان "التسليم الواعي" لله، الذي يعد هدفاً لكل مسلم ينشد مبدأ التوحيد. وتقدم ودود فكرة إعادة فهم الإسلام من خلال الإسلام ذاته، دون البقاء رهن التفسيرات الأبوية المجحفة والأنماط الثقافية التي تنتجها تلك التفسيرات. وبما أن التفاهم والتبادلية هما غايتنا الإسلام القصويين، وليس تسيد فصيل على الآخر، فيمكن تطبيق هذا المعيار الأخلاقي الجمعي على العلاقات بين الرجال والنساء داخل الأسرة، بل في العلاقات الإنسانية كافة.